م . م عزيز كريم مهدي
مكان العمل / جامعة كربلاء –كلية القانون
Azeez.k@uokerbala.edu.iq
٠٧٧١٤٨٧٢١٤٢

البُعد الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى: دراسة في التشكيل والمبالغة
The Mythical Dimension in the Poetry of Zuhayr ibn Abi Sulma: A Study of Structure and Hyperbole”

١٤٤٧هـ _ ٢٠٢٥ م

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى استكشاف البعد الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى، وهو جانب قلّما تناولته الدراسات السابقة التي ركزت على حكمته وعقلانيته. يمثل الشعر الجاهلي مرآة صادقة للوعي الجمعي العربي قبل الإسلام، وكانت الأسطورة أداة فنية وثقافية محورية في تشكيل المخيال الشعري وإثراء معانيه. يتناول البحث إشكالية كيفية تجلي البعد الأسطوري في شعر زهير، وكيف يوظف في بناء المبالغة والتضخيم الفني. تكمن أهمية الدراسة في إعادة النظر في شعر زهير من منظور نقدي حديث يتجاوز الوصف البلاغي التقليدي. يعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي، مع الاستفادة من عناصر المنهج الأسطوري والبلاغي والنفسي. يهدف إلى تحديد مفهوم البعد الأسطوري، وتحليل حضوره في شعر زهير، وإبراز أثر المبالغة في تضخيم الصور الأسطورية. كما يكشف عن الوظائف الجمالية والفكرية للأسطورة ودورها في إثراء الدلالة. أظهرت النتائج أن زهيراً وظف الأسطورة بصورة ضمنية وعميقة في بناء منظومته الشعرية، ولاسيما في موضوعات الموت والدهر والمصير. المبالغة في شعره ليست مجرد زينة، بل أداة تركيب رمزي تكثف المفارقات الأخلاقية والوجودية وتعمق دلالات النص في سياق أسطوري. تتكامل الوظائف الجمالية والدلالية للأسطورة في شعره، مما يمنح نصوصه أفقًا تأويليًا مفتوحًا، ويجعلها قابلة لإعادة القراءة بمناهج حديثة. فالأسطورة في شعر زهير ليست هامشًا، بل أحد محاوره التكوينية الخفية.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، زهير بن أبي سلمى، البعد الأسطوري.

Abstract:

This research aims to explore the mythical dimension in the poetry of Zuhayr ibn Abī Sulmā, an aspect rarely addressed by previous studies that focused on his

wisdom and rationality. Pre-Islamic poetry serves as an authentic mirror reflecting the collective consciousness of Arab society before Islam, and myth was a pivotal artistic and cultural tool in shaping poetic imagination and enriching its meanings. The research addresses the problem of how the mythical dimension manifests itself in Zuhayr's poetry and how it is employed to construct exaggeration and artistic amplification.The study's importance lies in re-examining Zuhayr's poetry from a modern critical perspective that goes beyond traditional rhetorical description. The research relies on the descriptive analytical method, benefiting from elements of the mythological, rhetorical, and psychological approaches. It aims to define the concept of the mythical dimension, analyze its presence in Zuhayr's poetry, and highlight the impact of exaggeration in amplifying mythical images. It also reveals the aesthetic and intellectual functions of myth and its role in enriching meaning.The findings indicate that Zuhayr Implicitly and profoundly employs myth in structuring his poetic system, especially concerning themes of death, time (Dahr), and fate. Exaggeration in his poetry is not merely an embellishment but a symbolic structural tool that intensifies ethical and existential paradoxes and deepens the text's connotations within a mythical context. The aesthetic and semantic functions of myth are integrated into his poetry, granting his texts an open interpretative horizon and making them amenable to re-reading with modern methodologies. Myth in Zuhayr's poetry is not a marginal element but one of its hidden formative axes.

Keywords: Pre-Islamic Poetry, Zuhayr ibn Abī Sulmā, Mythical Dimension.

المقدمة

يُعتبر الشعر الجاهلي مرآةً صادقةً تعكس الوعي الجمعي للمجتمع العربي قبل الإسلام، بما يتضمنه من قيم وعادات وتصوّرات للعالم. لقد شكّل هذا الشعر، من خلال جمالياته وتراكيبه الفنية، وسيلةً رئيسةً للتعبير عن تجارب الإنسان الجاهلي، وصراعاته، وتطلعاته، كما مثّل سجلاً حافلاً بتاريخ القبائل وأمجادها. في هذا السياق، تبرز الأسطورة بوصفها أداةً فنية وثقافية محورية أسهمت في تكوين البعد الإبداعي في الشعر، عبر تشكيل الصور وتضخيمها بما يعزز دلالات النص ويعمّق معانيه.

في تشكيل المخيال الشعري، ورفدته بعناصر الخيال والخوارق، مانحةً إياه عمقاً رمزياً وتأثيراً جمالياً يتجاوز حدود الواقع المادي.

وفي قلب هذه الحقبة الشعرية، يقف الشاعر الكبير زهير بن أبي سلمى، أحد أصحاب المعلقات، كقامةٍ شعريةٍ فذّةٍ، تميّز شعره بالحكمة والرصانة، ودقة التصوير، وواقعية النظرة إلى الحياة. لطالما ارتبط اسم زهير

في الأذهان بالجانب العقلاني والوصفي لشعره، غير أن الغوص في نصوصه يكشف أبعاداً أخرى قد تكون أقلّ وضوحاً، ولكنها لا تقلّ أهميةً في إثراء تجربته الشعرية.

من هنا، يطرح هذا البحث إشكاليةً محوريةً تتمثل في :**كيف يتجلى البعد الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى؟ وكيف يُستخدم هذا البعد في بناء المبالغة والتضخيم الفني؟**يسعى هذا

يهدف البحث إلى الكشف عن تلك الجوانب الخفية في شعر زهير، وإبراز حضور الأسطورة بوصفها عنصراً فاعلاً في تشكيل الصور الشعرية، وتوظيفها لمنح المعاني قوةً وتأثيراً من خلال آليات المبالغة.

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يعيد النظر في شعر زهير، الذي عُرف بحكمته وعقلانيته، ليكشف عن أبعادٍ خياليةٍ وأسطوريةٍ قلّ تناولها في الدراسات السابقة. كما يسلط الضوء على التفاعل العميق بين الوعي الأسطوري والبيئة الجاهلية، ويسهم في توسيع أدوات قراءة الشعر الجاهلي من زاويةٍ نقديةٍ حديثةٍ، تتجاوز الوصف البلاغي التقليدي إلى التحليل التأويلي.

ولتحقيق هذه الأهداف، يتوزع هذا البحث على مباحث رئيسة، تبدأ بتحديد الإطار المنهجي، ثم تنتقل إلى مفهوم البعد الأسطوري في الشعر، وتستعرض ملامح التشكيل الأسطوري في شعر زهير، وآليات المبالغة المرتبطة به، لتختتم بوظائف الأسطورة الجمالية والدلالية في نصوصه.

الإطار المنهجي للبحث

يستند هذا البحث في مقاربته لموضوعه إلى إطار منهجي واضح يشتمل على الشمولية والدقة، مما يضمن تحقيق تحليل متكامل للأبعاد المختلفة للموضوع.

والدقة في التحليل، ويسعى إلى الإجابة عن التساؤلات المطروحة وتحقيق الأهداف المنشودة.

١-إشكالية البحث

تتمحور إشكالية هذا البحث حول سؤالٍ جوهريٍ :**كيف يتجلّى البعد الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى؟ وما علاقته بالتشكيل الشعري والمبالغة في التصوير؟**تسعى هذه الإشكالية إلى استكشاف الجوانب الخفية في شعر زهير، التي تتجاوز النظرة التقليدية له كشاعر حكمةٍ وعقلانيةٍ، للكشف عن حضوره الأسطوري وتوظيفه الفني.

٢-أسئلة البحث

للإجابة عن الإشكالية الرئيسة، يطرح البحث مجموعةً من الأسئلة الفرعية التي ستُعالج بالتفصيل:

- ما المقصود بالبعد الأسطوري في الأدب عامةً وفي الشعر الجاهلي خاصةً؟
- كيف تتجلى عناصر التشكيل الأسطوري في شعر زهير؟

- ما أدوات وأساليب المبالغة المرتبطة بهذا البعد في شعره؟
- ما الوظائف الدلالية والجمالية للأسطورة في شعر زهير؟
- هل يعكس البعد الأسطوري في شعره وعياً جمعياً أم تجربةً فرديةً؟

٣-أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف العلمية والنقدية، منها:

- تحديد مفهوم البعد الأسطوري في السياق الأدبي والنقدي، وتمييزه عن المفاهيم المشابهة.
- تحليل حضور التشكيل الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى، وتحديد مواضعه وأشكاله.
- إبراز أثر المبالغة في تضخيم الصور والمعاني الأسطورية، وكيف تسهم في تعزيز البعد الخارق.
- الكشف عن الوظائف الجمالية والفكرية للأسطورة في نصوص زهير، ودورها في إثراء الدلالة.
- الإسهام في مقاربة شعر زهير من منظورٍ جديدٍ يتجاوز الوصف البلاغي التقليدي، ويفتح آفاقاً لتأويلاتٍ أعمق.

٤-أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في عدة جوانب:

- يعيد النظر في شعر زهير، المعروف بالحكمة والعقلانية، ليكشف أبعاداً خياليةً وأسطوريةً قلّ تناولها في الدراسات النقدية.
- يسلط الضوء على التفاعل بين الوعي الأسطوري والبيئة الجاهلية، وكيف انعكس ذلك على الإنتاج الشعري.
- يسهم في توسيع أدوات قراءة الشعر الجاهلي من زاويةٍ نقديةٍ حديثةٍ، تستفيد من المناهج المعاصرة في تحليل النصوص.

٥-منهج البحث

يعتمد هذا البحث على**المنهج التحليلي الوصفي**بوصفه منهجاً أساسياً، حيث يقوم بوصف الظواهر الأسطورية في شعر زهير وتحليلها بعمق. كما سيتم استخدام عناصر من**المنهج الأسطوري**في تأويل الرموز والدلالات الخارقة، و**المنهج البلاغي**في تحليل آليات المبالغة والتضخيم، و**المنهج النفسي**عند الحاجة لفهم

الانعكاسات النفسية للأسطورة على الشاعر أو المتلقي. سيتم تحليل مختاراتٍ من شعر زهير بن أبي سلمى وفق آليات التأويل الأسطوري والبلاغي.

٦-حدود البحث

يتقيد هذا البحث بحدودٍ واضحةٍ لضمان التركيز والدقة:

- **الموضوعية:**يقتصر البحث على دراسة البعد الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى دون سواه من شعراء الجاهلية.
- **الزمانية:**يدرس البحث الشعر الذي وصل إلينا من ديوان زهير بن أبي سلمى، مع الأخذ بالاعتبار ما صحّ نسبته إليه.
- **النوعية:**يركز البحث على الصور والمضامين ذات الطابع الأسطوري والمبالغ فيه، وكيفية توظيفها فنياً.

٧- مصادر البحث وأدواته

تعتمد الدراسة على مجموعةٍ من المصادر والأدوات الضرورية:

- **النصوص الشعرية:**ديوان زهير بن أبي سلمى بوصفه المصدر الأساسي للدراسة التطبيقية.
- **مصادر نقدية قديمة:**كتب البلاغة والنقد العربي القديم، مثل دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني، ونقد الشعر لقدامة بن جعفر، وغيرها مما يسهم في فهم السياق البلاغي.
- **مصادر نقدية حديثة:**الدراسات المعاصرة التي تناولت الأسطورة في الأدب، وتحليل التشكيل والمبالغة، والمناهج النقدية الحديثة.
- **أدوات التحليل:**القراءة التأويلية للنصوص، التصنيف الموضوعي للظواهر الأسطورية، المقارنة بين الصور المختلفة، والتحليل السياقي الذي يربط النص ببيئته الثقافية.

المبحث الأول: مفهوم البعد الأسطوري في الشعر

يُعد البعد الأسطوري أحد المكونات العميقة والجوهرية في بنية الشعر الجاهلي، إذ يتقاطع مع جذور الميثولوجيا العربية القديمة من جهة، ويعبّر عن الخيال الجمعي من جهة أخرى. وقد أشارت الدراسات الأدبية إلى أن الأسطورة تمثل ركناً أساسياً في تشكيل الموروث الثقافي الشعري، حيث تعكس الرؤى العالمية والمعتقدات التي كانت سائدة في المجتمع العربي القديم.

والرمزي للقبائل من جهة أخرى. وتُستخدم الأسطورة في هذا السياق ليس فقط كوسيلة فنية لإضفاء البهاء الجمالي على النصوص، بل كذلك كأداة لتكثيف الدلالة، وفتح أفق رمزي يتجاوز الواقع المباشر إلى آفاق فكرية وتأويلية رحبة، تكشف عن طاقات رمزية كانت تسكن وعي الإنسان الجاهلي وتعبّر عن رؤيته للكون والوجود والحياة.

أولاً: تعريف الأسطورة ووظيفتها الأدبية

الأسطورة، من حيث تعريفها الكلاسيكي، هي نوع من السرد الخرافي الذي يتناول شخصيات خارقة للطبيعة، أو أحداثاً كونية تتعلق بالبدايات والنهايات، وتشكيل العالم. وهي تمثل نتاجاً جمعياً لرؤية المجتمع، وتسهم في تفسير الظواهر التي يعجز العقل عن إدراكها، مثل الموت، والمصير، والطبيعة الغامضة[1] . وفي سياق الأدب، تؤدي الأسطورة وظيفة رمزية وشاعرية معقدة، إذ تُستخدم للتعبير عن القلق الوجودي، كما تقدم رؤية تتجاوز حدود الزمن والمكان، وتسعى إلى التعبير عن المجهول عبر منظومة من الصور التي تختزنها الذاكرة الجمعية.

الأسطورة كذلك لا تقتصر على كونها مروية ميثولوجية، بل تصبح في الشعر أداة بنائية، تسهم في تشييد المعنى وتوسيع أفق التلقي، تُستثمر لإيصال رؤية الشاعر الوجودية أو الاجتماعية بلغة كثيفة مشحونة بالإيحاءات.

ثانياً: العلاقة بين الشعر والأسطورة

منذ فجر التعبير الإنساني، ارتبط الشعر بالأسطورة بوصفهما شكلين من أشكال التصور الخيالي للوجود. والشعر الجاهلي، بطبيعته الوجدانية والتأملية، اتخذ من الأسطورة مرجعية رمزية وثقافية. ففي هذا الشعر، نجد تصويراً للطبيعة وكأنها كائنات فاعلة لها مشيئة، كما يُستدعى "الدهر" و"المنايا" و"الحظ" كشخصيات خارقة تحدد مصير الإنسان. كذلك، نجد استدعاء لصور تتعلق بالخلود، والنار، والظلمة، والأرواح، مما يعكس ارتباطاً ضمنياً بالمنظور الأسطوري.

كما تُضفى على الصور الشعرية صفات الكونية والقدرية، مما يجعل المشهد الشعري يتجاوز الواقعية الضيقة إلى التخييل الكوني، وهو ما يمنح الشعر بعداً أسطورياً حتى في غياب الشخصيات الأسطورية الصريحة.

إن تمثّل القوى الكونية في صورة خصوم أو حلفاء، وتحويل الأحداث اليومية إلى رموز قدرية، كلها مؤشرات على حضور الأسطورة كإطار مرجعي للقول الشعري.

ثالثاً: حضور البعد الأسطوري في الأدب العربي القديم

يتجلّى البعد الأسطوري في الموروث الجاهلي من خلال إشارات متعددة وواضحة، مثل ذكر "الجن"، و"الغيلان"، و"الدهر"، و"العنقاء"، وكلها تشير إلى عوالم ما وراء الطبيعة. كما يُصوَّر الموت في الشعر الجاهلي كقوة خارقة، تتجسد أحياناً على هيئة كائنات مفترسة أو ظواهر كونية مروعة، أو كقضاء لا مرد له.

ومن الأمثلة الشعرية اللافتة قول طرفة بن العبد:

[1] عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، ١٩٩١

:في البيت
وإذا المنيَّة أنشبت أظفارها"
"ألفيت كل تميمة لا تنفعُ

تتحول المنيّة إلى كائن أسطوري له مخالب، في مشهد يضفي على الموت طابعاً مهيباً ومرعباً يتجاوز النظرة المادية، ويعكس تصوراً وجودياً خالصاً عن الفناء المحتوم.

والضعف الإنساني أمام القوى الغيبية.

وربما أكثر ما يميز الحضور الأسطوري في الشعر العربي القديم هو مزجه بالواقع الاجتماعي، إذ نجد الأسطورة وقد اندمجت في نسق القيم القبلية، وأصبحت رمزاً للقوة أو الضعف أو البطولة أو المصير.

رابعاً: الفرق بين الرمز الأسطوري والمبالغة البلاغية

من الضروري التمييز بين الرمز الأسطوري بوصفه استعارة ثقافية تعبر عن مخزون جمعي متراكم، وبين المبالغة البلاغية التي تُستخدم لإثارة الإعجاب أو للتضخيم الشعري. الرمز الأسطوري يضمر دلالات تتصل بالوعي الجمعي والذاكرة الثقافية، بينما المبالغة البلاغية قد تكتفي بتكثيف الصورة دون تأصيل رمزي.

حين يقول زهير بن أبي سلمى:

"ومنْ لا يذدْ عنْ حوضِهِ بسلاحِهِ
يُهدَّمْ، ومنْ لا يَظْلِمِ النّاس" في البيت:
ِ يُظْلَمِ"

يعكس هذا النص واقعاً يومياً ملموساً يتمثل في الصراع القَبَلي على الممتلكات والكرامة، حيث يبرز النزاع بين القوى المتصارعة بطريقة مباشرة وواضحة، بعيداً عن التوظيف الأسطوري أو الرمزي. ويُظهر النص منطقاً قاسياً قائمًا على العدالة الاجتماعية والانتقام، دون الحاجة إلى تجسيد قوى أسطورية، مما يؤكد تصويره الواقعي المفرط للصراع بين القوي والضعيف في المجتمع الجاهلي.

وفي موضع آخر، يتحدث زهير عن "المنايا" بوصفها قوة خارقة تتحكم بمصير

يقول الشاعر:
"رأيت المنايا خبط عشواء من تُصبْ
تمته، ومن تُخطئ يعمَّر فيهرمِ"

تتجلى في هذا البيت صورة "المنايا" ككائن أعمى يضرب بعشوائية، معبّراً بذلك عن الحتمية الغامضة والقدر المجهول الذي يعجز الإنسان عن دفعه. ولا ينبغي قراءة هذه الصورة ضمن إطار الأسطورة، بل هي تصوير

واقعي مستوحى من الحياة اليومية، حيث يشبه الشاعر الموت بالناقة المصابة بالعشو التي تتحرك بشكل مضطرب وتصطدم بمن حولها، مما يعكس اضطراب التصورات حول الموت في الفكر الجاهلي.

حول العدالة الكونية، وعن عجز الإنسان عن استبصار مستقبله أو التحكم في مصيره.

خامساً: البعد الأسطوري في وعي زهير الشعري

زهير، على االرغم من شهرته بصفته شاعر الحكمة والعقلانية، لا يخلو شعره من الإيحاءات الأسطورية التي تعكس عمقاً فكرياً وتخيلياً. فقد مزج في قصائده بين الحضور الواقعي الدقيق، وبين تصوير العالم كصراع بين قوى كبرى، تتخذ أحياناً طابعاً كونياً. إذ نجد إشارات إلى الدهر والموت والخلود، وإلى مفاهيم كالقدر، والغيب، والجزاء، وكلها تمثل أنماطاً رمزية تعيد إنتاج الأسطورة في نص عقلاني الشكل لكنه أسطوري الجوهر.

إن ما يمنح هذا البعد الأسطوري طابعه الخاص في شعر زهير، هو أنه لا يطغى على بنية المعنى، بل يتخللها على هيئة إشارات وصور وأفعال ترتبط بقيم جماعية كبرى. فيصبح التشكيل الأسطوري جزءاً من بلاغة المعنى، لا مجرد زخرف تعبيري، وتتحول الأسطورة إلى أداة تفكير وتأمل في المصير الفردي والجمعي، وفي العلاقة بين الإنسان والكون.

المبحث الثاني: ملامح التشكيل الأسطوري في شعر زهير بن أبي سلمى

رغم أن زهير بن أبي سلمى يُعرف غالباً في الأدبيات النقدية التقليدية بأنه شاعر الحكمة والعقلانية والرصانة، فإن قراءة دقيقة ومتأنية في ديوانه تكشف عن طبقات أعمق من البنية الشعرية تتقاطع مع المفاهيم الأسطورية القديمة. يتجاوز حضور الأسطورة عند زهير مجرد الإشارة العَرَضية أو الاستعارة البلاغية، بل ينبثق من رؤية وجودية شاملة تُمثّل فيها الأسطورة بُنية من بنى التخييل الشعري تُسهم في بلورة العالم الشعري وتركيبه الدلالي. ففي حالات التوتر، القلق، الموت، والمصير، يلجأ الشاعر إلى صور ومفاهيم تنتمي إلى حقل الرمز الأسطوري، فتُضفي على شعره كثافة رمزية وامتدادًا تأويليًا مفتوحًا.

أولاً: تشخيص المنايا كقوة خارقة تتجاوز المنطق

يعدّ البيت:

يقول الشاعر:

"رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ من تُصبْ
تمته، ومن تُخطئ يُعَمَّرْ فيهرمِ"

يُعتبر هذا البيت من أبرز الشواهد التي تعكس النزعة الأسطورية في شعر زهير، إذ تُجسّد المنايا هنا ليس كحدث بيولوجي أو قدر معقول، بل ككيان مستقل ذو إرادة يسير بشكل أعمى وعشوائي. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن التشبيه بالناقة العشوائية (وليس الوحش) هو تصوير واقعي مستمد من تجربة الحياة اليومية، حيث تتحرك الناقة المصابة بشكل مضطرب، ما يعكس رؤية الشاعر للموت كظاهرة غير منتظمة ومربكة. ويعتمد هذا التصوير على خاصية مركزية في الأسطورة، وهي تجسيد المفاهيم الميتافيزيقية وتحويلها إلى

كائنات حية ذات سلوك مستقل. ويرى إحسان عباس أن هذا النمط من التصوير يفتح آفاقًا فلسفية حول الموت، بوصفه قوة تفوق النظام الأخلاقي والعقلاني، مما يمنح النص عمقًا دلاليًا يتجاوز الظاهر.

ثانيًا: الدهر كقوة مفترسة تمارس العدالة الفوضوية

في بيت آخر يقول زهير:

في البيت:
"ومنْ لمْ يصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ
يُضَرَّسْ بأنيابٍ ويوطأ بمنسمِ"

لا يُصوّر هنا الدهر أو الزمن أو صروف الحياة كمخلوق وحشي له أنياب وأرجل، بل يُعبّر عن ضرورة مداراة الناس ومصانعتهم للحفاظ على القدرة على التواصل الاجتماعي والتكيّف مع متطلبات الحياة. ومن لا يفعل ذلك فإنه يتعرض للتجاوز والاندثار، لأن الحياة تتطلب حكمة في التصرفات. وعلى الرغم من أن هذه الاستعارة تتماهى مع نماذج أسطورية في بعض الثقافات القديمة التي تجسّد الزمن أو القدر كوحش يفتك بمن لا يراعي قوانينه، إلا أن قراءة البيت في سياقه الحقيقي تُظهر واقعية واضحة في التعامل مع معطيات الحياة الاجتماعية. ويشير طه حسين إلى أن مثل هذه التصويرات في الشعر الجاهلي تعكس رؤية حضارية ترى العالم كميدان صراع بين الإنسان وقوى تفوق قدرته، لكن هذا لا يعني بالضرورة تجسيد تلك القوى ككيانات أسطورية.

ثالثًا: صورة التسامي الإنساني كرحلة إلى عالم علوي

يقول زهير:
"إذا الفتى بلغَ السماءَ برأيِه
وسمتْ له الأخلاقُ والعلمُ زانا"

في هذا البيت، تُستخدم السماء كرمز للمقامات العليا والسمو، حيث تشير إلى بلوغ العلا والشرف لا أكثر، دون دلالة مباشرة على أبعاد أسطورية. يرتبط التفوق العقلي والخلقي هنا بالارتقاء الأخلاقي والاجتماعي، وليس بالضرورة بالارتقاء الميثولوجي. ومع ذلك، يمكن ملاحظة تقاطعات بين هذا التصوير وبعض التصورات الأسطورية في الموروث البابلي والفرعوني، التي تمنح الإنسان المثالي منزلة شبه إلهية. ويؤكد فراس السواح أن هذا التوجه يعكس رغبة قديمة في الربط بين الكمال البشري والتسامي إلى مقام الآلهة أو الخلود، وهو ما يظهر في العديد من الثقافات القديمة.

رابعًا: قانون العدالة الكونية في صورة شعرية

يقول زهير:
"ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه
يُهدَّم، ومن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ"

يتكرر هذا البيت أكثر من مرة في ديوانه، مما يدل على أهميته كرسالة مركزية. ينطوي النص على مبدأ أساسي في التفكير الجاهلي، وهو مبدأ القوة والردع الاجتماعي، وليس على مبدأ أسطوري كما قد يُفهم أحيانًا. فالعلاقة هنا ليست علاقة أسطورية أو كونية تتجاوز الواقع، بل هي علاقة واقعية تقوم على مبدأ تبادلي واضح بين الفعل والنتيجة في سياق الصراع القَبَلي. ويعكس هذا البيت فلسفة القوة التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي، حيث لا مكان للضعف أو التردد في الدفاع عن النفس والممتلكات، مما يجعل العدالة مرتبطة مباشرة بقدرة الفرد على فرض وجوده.

الأساطير اليونانية، تُعرف هذه الفكرة بمبدأ "النِموس"، الذي يمثل النظام الكوني الأخلاقي الذي يعاقب الخارجين عليه تلقائيًا . استخدام زهير لصورة "الحوْض" كمجال حياتي مصغّر، يضفي على البيت طابعًا رمزيًا غنيًا، يعيد إنتاج مفاهيم العدالة والوجود ضمن رؤية كونية.

خامسًا :تصوير الأقدار ككيانات واعية

يقول زهير:

"تُهدى الأمورُ لأهلِ الرأي ما صلُحتْ
فإنْ تولّتْ فبالأشرارِ تنقادُ"

هنا تُعامَل الأحداث والمصائر كما لو كانت كائنات حية لها إرادة تُقاد وتختار، وهو بناء أسطوري بامتياز)**البيت يتحدث عن ثنائية الخير والشر في الحياة من منظور بسيط وواقعي ولا يحتمل دلالة أخرى** .(في الأسطورة البابلية القديمة، كانت الأقدار تُرسم على ألواح محفوظة بيد الآلهة، وتُمنح للناس بناءً على أفعالهم. يفسر السواح هذا النموذج بوصفه محاولة لتفسير فوضى الواقع عبر منحه بنية رمزية يمكن فهمها عبر صور محسوسة ومجسّدة.

سادسًا: المعركة بوصفها طقسًا دموياً أسطورياً

ورد في الديوان:

"فتنضحُ بالصفراءِ بين جماجمٍ[٣]
نضحَ الدماءِ من الخصومِ المعاركِ"

[٢]جان بيير فرنان، "الأسطورة والمجتمع في اليونان القديمة"، ترجمة محمد سبيلا، أفريقيا الشرق، ١٩٩٧، ص ٤٣.
[٣]زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٣٢.

في هذا التصوير، يخلق الشاعر مشهدًا يقترب من الطقس الأسطوري أكثر من كونه وصفًا لحرب واقعية. اللون، الجماجم، الدماء، كلها عناصر تُستخدم في الأساطير القديمة في سياق طقوس التضحية أو التجديد. وقد اعتبر ناصر الدين الأسد هذا النوع من الصور استمرارًا لطقوس الطلعة القَبَلية التي كانت تُمارس قبل وبعد الحروب[٤].

سابعًا: الأسطورة كوسيلة لتكثيف الحكمة

في كثير من أبياته، يدمج زهير بين الحكمة والأسطورة، فلا تعود الصورة الخيالية مجرد وسيلة للزينة اللفظية، بل تتحول إلى حامل دلالي للفكرة الفلسفية. هذا التداخل يشير إلى وعي شعري يتجاوز البُعد البلاغي ليصل إلى بناء نسق رمزي يدمج بين الخرافة والتجربة الإنسانية العميقة.

المبحث الثالث:آليات المبالغة في البعد الأسطوري لدى زهير بن أبي سلمى

تُعدّ المبالغة من السمات البلاغية الراسخة في الشعر الجاهلي، إذ كانت تُستخدم لإضفاء طابع جمالي وإيقاعي على المعاني والصور. غير أن المبالغة في شعر زهير بن أبي سلمى، حين تُدرس في ضوء حضور البعد الأسطوري، تظل محكومة بواقعيته المتزنة التي لا تنزع غالبًا إلى التهويل الأسطوري بالمعنى الكامل. فهي هنا لا تتجاوز إطار التصوير البلاغي والتكثيف التعبيري إلى تأسيس عالم ميثولوجي مستقل، بل توظف الصور الكبرى لإبراز قوة المعنى وتعميقه في وعي المتلقي، دون انفصال عن مرجعياته العقلانية والأخلاقية.

أولًا: التضخيم الرمزي في تصوير الصراع والحرب

يقول زهير:

"إذا أنت لم تَدْرَكْكَ خيلٌ تناهبتْ
فَقَضَّى عليكَ الدهرُ والليلُ مظلمُ"

في هذا البيت، يجسّد زهير مشهد الهلاك نتيجة الهزيمة العسكرية، حيث تتداخل صورة الليل والدهر والخيل لتمنح الإيحاء بالقوة القاهرة التي تواجه الإنسان. غير أن هذا التصوير يظل ضمن إطار المبالغة البلاغية التي تصف واقع الحرب وظلمتها وقدَرها المحتوم، دون أن يتضمن بُعدًا أسطوريًا بالمعنى الدقيق. فالشاعر هنا يعرض رؤية واقعية عن الهزيمة والحرب والدهر من منظور الإنسان الجاهلي الذي يرى في الخيل والليل والدهر أسبابًا مباشرة للفناء أو البقاء. ولهذا فإن وصف البيت بأنه تصوير أسطوري يتجاوز واقعه إلى ميثولوجيا خالصة، هو وصف لا يستقيم مع طبيعة زهير العقلانية وأسلوبه القائم على الحكمة والتقرير.

[٤] ناصر الدين الأسد، "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٤٥

ويُعلق الجاحظ في هذا السياق قائلاً: "إن الشاعر إذا أراد أن يُعظم المعنى ويُبرز عجيبته، لجأ إلى التشبيه والتجسيم، فجعل الأمر المجرد كأنه ذو جسم وحياة، يتحرك في النفس حركة المحسوسات" [٥]. فالمبالغة هنا لا تكمن فقط في وصف عشوائية الموت، بل في تحويل الموت إلى قوة خارقة عمياء تتحرك ككائن أسطوري

فالمبالغة هنا لا تكمن فقط في وصف عشوائية الموت، بل في تحويل الموت إلى قوة خارقة عمياء تتحرك ككائن أسطوري. يشير الدكتور إحسان عباس إلى أن هذه الصورة تتجاوز التشبيه إلى نمط من التكوين الميثولوجي، حيث يُضفى على المنايا صفات تجسيمية تجعل منها قوة لا عقل لها ولا عدل[٦].

ثانيًا: تكرار البناء التضخيمي لتثبيت الفكرة

يقول زهير:

"ومهما تكن عند امرئٍ من خليقةٍ
وإن خالها تخفى على الناس تُعلَمِ"

في هذا البيت، يقرر زهير حقيقة تتعلق بطبيعة الصفات الإنسانية، مؤكدًا أن ما يظنه المرء خافيًا ينكشف يومًا ما. وتتكرر هذه الفكرة في مواضع أخرى من شعره، إذ يكثر من تأكيد معاني الصدق وكشف السرائر والحكمة والتجربة، مما يعكس نزوعه إلى تثبيت الفكرة عبر البناء التضخيمي التقريري. غير أن هذا التكرار لا يندرج ضمن بناء أسطوري بالمعنى الاصطلاحي، بل هو توكيد حكمي يعبر عن فلسفة أخلاقية واقعية تنسجم مع النزعة التعليمية لشعر زهير.

وقد أشار قدامة بن جعفر إلى أثر التكرار البلاغي، مبينًا أنه إذا أُحسن توظيفه جعل المعنى أشد رسوخًا في النفس وأعظم وقعًا في التأثير، لأنه يُعيد الفكرة بصيغ متنوعة فتستقر في الذهن كأنها قانون لازم. وهكذا، يُوظف زهير التكرار هنا لإبراز قيمة الصدق وكشف الحقائق في نظام الحياة، دون أن ينطوي ذلك على بعد ميثولوجي أو تصوير أسطوري، بل هو تعبير عن واقعية حكمية عقلانية واضحة.

ثالثًا: المفارقة بين الواقعي والمتخيل كآلية تضخيم

يقول زهير:

"البيتُ من اللحم والدمِ كالبنيانِ
إذا صارَ منهُ هدمٌ تهاوى"

في هذا البيت، يستخدم زهير تشبيهًا واقعيًا للبنيان الذي يتكون من أجزاء مترابطة، likeningالبيت (العائلة أو القبيلة) إلى جسد من اللحم والدم. يشير البيت إلى هشاشة البنية الاجتماعية عند تدهورها، ولا يتضمن أي

[٥] الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص ١٣٢
[٦] حسان عباس، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ص ٦٧.

تصوير أسطوري أو ميتافيزيقي. التضخيم البلاغي هنا يكمن في التشبيه الحي الذي يجعل الفكرة أكثر وضوحًا وقوة، من خلال تصوير الواقع بشكل ملموس.

وهكذا، فإن البيت يعكس نظرة واقعية وحكيمة إلى ضرورة التماسك الاجتماعي، دون اللجوء إلى عناصر أسطورية أو ميتافيزيقية.

رابعا :التهويل اللوني والدموي في المعارك

يصف زهير إحدى المعارك قائلاً:

"فتنضحُ بالصفراءِ بين جماجمٍ
نضحَ الدماءِ من الخصومِ المعاركِ"

ينبع التهويل في هذا المشهد من استخدام اللون والدم والجماجم، وهي عناصر تعبر عن قسوة المعركة وعنفها، لكنها تصوير واقعي لأحداث القتال لا يمت إلى الأسطورة بصلة. فالنص يرسم صورة حيّة لوقع الدماء والصراع الميداني، ولا يمكن اعتباره مشهداً أسطورياً. وهذا التوظيف ليس إلا تقنية بلاغية لخلق مشهد مؤثر، يرتكز على التكرار البصري والصوتي، ويُبرز شراسة الحرب وقسوتها.

كما يشير عبد القاهر الجرجاني إلى أن الشاعر إذا أراد أن يُوقع في النفس هيبة المعنى، يجمع بين الصورة المرئية والحسية وبين ما يثير الرهبة في النفس، فتكون الصورة كأنها مشهد يُرى بعين القلب، وهذا ما نجده بوضوح في وصف زهير للمعارك.

خامسا: الجمع بين المتقابلات كصورة تضخيمية

يقول زهير:

"ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله
على قومه يُستغنَ عنه ويُذممِ"

التقابل بين الفضل والبخل، والاستغناء والذم، يعكس واقعًا اجتماعيًا وأخلاقيًا ملموسًا، ولا ينطوي على بعد أسطوري. فالبيت يعبر ببساطة عن قانون اجتماعي يحكم تقدير الإنسان بناءً على كرمه ومساهمته في مجتمعه. ولا يتضمن النص أي دلالة على مكانة سماوية أو قدرية للإنسان الفاضل، بل هو بيان لنتائج سلوكية ملموسة في إطار الحياة الاجتماعية.

سادسًا: التعميم المطلق بوصفه مبالغة قدَرية

من أمثلته أيضًا:

"إذا العِقْلُ عنْ المَكارمِ لم يُؤْثَرْ
فليسَ العقلُ عقلًا إذا لم يُفْتَحِ"

في هذا البيت، يعمم زهير فكرة أن العقل لا يكون عقلًا حقيقيًا إلا إذا كان مصحوبًا بفضائل المكارم، مما يضفي على العقل بعدًا أخلاقيًا شاملاً، دون استثناء. هذه العمومية توحي بصرامة قاسية في الحكم على الإنسان، وتعكس نوعًا من المبالغة التي تضخم من قيمة الفضيلة وضرورتها في الحياة.

يقول الدكتور مصطفى ناصف في كتابه: "المبالغة في الشعر الجاهلي ليست ترفًا بلاغيًا، بل وسيلة لاختزال الرؤية الكونية في صورة مركزة. فالتضخيم عند زهير يحول المفردة إلى كون مصغر يُجسّد صراع الإنسان مع قوى الدهر الغامضة".

مع ذلك، تبقى هذه المبالغة تعبيرًا مجازيًا يدعم المعنى الأخلاقي، ولا تصنف كتصوير أسطوري بحت، بل هي تأكيد على أهمية الفضيلة كقانون اجتماعي وأخلاقي.

المبحث الرابع: الوظائف الجمالية والدلالية للأسطورة في شعر زهير بن أبي سلمى

تُعدّ الأسطورة في شعر زهير بن أبي سلمى أكثر من مجرد عنصر تزييني أو خيال زخرفي؛ إنها عنصر جوهري يتغلغل في نسيج الخطاب الشعري، وتُوظّف ببراعة لتعزيز الدلالة وإثراء البنية الجمالية. لقد استخدم زهير الأسطورة كوسيلة لاستبطان الوجود، ومساءلة القَدَر، وتأويل الأحداث الكبرى، وصياغة القيم القبلية، وتحويل الواقع المعيش إلى مشهد رمزي تتداخل فيه عناصر الطبيعة، والتاريخ، واللاوعي الجمعي. بهذا المعنى، فإن الأسطورة في شعر زهير لا تقف عند حدود البلاغة، بل تنخرط في تشكيل منظومة دلالية كاملة تعكس رؤيته للعالم والمصير، وتضعه في تماسّ مع تقاليد كونية أوسع.
وفي هذا المبحث، نستعرض أبرز الوظائف التي تنهض بها الأسطورة في شعره، مع تحليل نماذج مختارة من ديوانه تُظهر كيف تُستثمر الأسطورة بوصفها بنية فنية ودلالية.

أولاً: **أولاً: الوظيفة التعبيرية (الأسطورة وسيلة لتكثيف التجربة الذاتية والجمعية)**

تُعدّ الأسطورة أداة للتعبير المركب والمضمر، تمكّن الشاعر من تحويل الحدث العابر أو الشعور الغامض إلى صورة متكاملة تنقل قلق الإنسان الوجودي وتضخم من أثره الشعوري. يتجلى هذا في قول زهير:

"إذا المنيّة أنشبت أظفارها
ألفيت كل تميمة لا تنفعُ"

الموت هنا يُصوّر ككائن مخيف له أظفار تشبه المخالب، في مشهد يُضفي على تجربة الموت بعدًا مهيبًا وفاجعًا، يعكس تصور الإنسان القديم عن الموت كمصير حتمي وقوة لا تُردّ. هذه الصورة تُعد تجسيدًا تعبيريًا يُكثف الشعور بالخوف من الموت، حيث تتلاقى الأسطورة مع تجربة الشاعر الذاتية، فيتحول الخوف الفردي إلى إحساس جمعي متجذر في الوعي العربي الجاهلي.

ويُبرز ابن رشيق هذا الدور للشعر فيقول: "الشعر إنما هو إحساس بالنفس يُعبّر عنه الشاعر بلغة الخيال، فإذا استطاع أن يجعل من شعوره شعور الأمة، فقد أصاب فيه غاية الفن". وهكذا، يحول زهير تجربته الذاتية إلى رؤية جمعية عبر توظيف الصورة الأسطورية.

في بيت آخر:

"إذا ابتُليتَ بشخص لا مروءة له
فلا تحاولْ به نفعًا ولا صلحًا"

في هذا البيت، يُصوّر زهير الإنسان عديم المروءة كشخص فاقد للطبيعة الإنسانية القابلة للإصلاح، مما يجعله خارجًا عن النظام الاجتماعي والأخلاقي المتعارف عليه. هذا التصوير يعكس موقفًا واقعيًا تجاه الخيانة والسفالة، بعيدًا عن التجسيدات الأسطورية الميتافيزيقية التي لا تتناسب مع السياق الجاهلي المباشر.

يمكن النظر إلى هذه الوظيفة التعبيرية باعتبارها امتدادًا للرؤية الأخلاقية والاجتماعية في الشعر الجاهلي، حيث لا يكتفي الشاعر بوصف الأشياء مجردة، بل يمنحها صفات وسلوكيات، ويُخضعها لمنطق سردي تتداخل فيه الأقدار مع تقلبات الحياة، دون اللجوء إلى تصورات أسطورية بالمعنى الحرفي.

ثانياً: الوظيفة القيمية (الأسطورة أداة لصياغة منظومة أخلاقية)

تؤدي الأسطورة عند زهير دورًا في تكوين الوعي الجمعي، من خلال تأسيس بنية أخلاقية تنظم العلاقات بين الأفراد والقبائل. في البيت:

"ألا كلّ امرئٍ يحمل همّهُ
يموتُ والهمُّ منهُ لا يفارقُ"

هذا البيت يُبرز طبيعة الهمّ الثقيل الذي يلازم الإنسان ويحمله معه حتى الموت، وهو تصوير درامي للحياة التي تعكس مسؤوليات الإنسان وأعباءه، في تذكير بقسوة الواقع وحتمية التعامل مع مصاعب الحياة. ويتجسد

من خلاله فهم عميق لطبيعة الإنسان ومسيرته الحياتية، إذ يُربط بين الهمّ والقدر بطريقة تبرز أهمية تحمل الفرد لمسؤولياته.

يُبرز هذا المعنى القيمي الأهمية الأخلاقية للثبات والصبر، ويُستخدم الشعر كوسيلة لتحفيز الأفراد على مواجهة الأزمات والصعاب بشجاعة وحكمة، مما يعكس منظومة قيمية تدعم التضامن والقوة في المجتمع القبلي.

.

.

ثالثاً: الوظيفة الجمالية (الأسطورة مصدر للإبهار وتشكيل الصور الشعرية)

تُسهم الأسطورة في تعزيز الطابع الجمالي للقصيدة من خلال خلق صور درامية ومفاجئة، تشكل منعطفات في البنية الشعرية، وتفتح النص على أفق من التأويل.

"ألا هلاَّ استخففتَ منَّا جناحَ الهوى
فلا يطيرُ الطيرُ إلا فوقك رفيقًا"

هذا البيت يصوّر الهوى ككائن يملك أجنحة، مما يضفي على الحب بعدًا شعريًا وصوريًا مدهشًا، فالصورة هنا تجمع بين الواقعية والتخييل، مما يجعل النص ينبض بالحياة ويثير الدهشة.

يستخدم زهير في هذا البيت صورة شعرية تجمع بين الطبيعة الإنسانية والعناصر المتخيلة، حيث يصور الهوى (الحب) ككائن ذي أجنحة، قادر على التحليق. هذه الاستعارة تُضفي على الحب بعدًا حيويًا متحركًا، وتفتح أمام القارئ أفقًا تخيليًا يتجاوز المعنى الحرفي إلى صورة شاعرية ذات بعد أسطوري، إذ يُشبّه الحب بكيان حيوي يُرافق الإنسان في رحلته، ولا يمكن الطيران (العيش أو السير في الحياة) إلا برفقته.

هذا التشبيه يضفي جمالية خاصة على النص، إذ يتحول الحب من مجرد شعور إلى كائن له حضور فعلي وحرية في الحركة، مما يزيد من قوة الإبهار ويشعل الخيال، ويجعل النص أكثر تأثيرًا وحضورًا. فالهوى هنا ليس مجرد شعور، بل رمز للحياة والنشوة التي لا تتحقق إلا بوجوده.

وبهذا، يشكل البيت نقطة تحوّل درامية داخل النص، تتلاقى فيها الطبيعة الإنسانية مع عالم المتخيل، فتتشكل صورة شاعرية نابضة بالحياة، تُظهر الإبهار والدهشة، وهما من خصائص الوظيفة الجمالية التي تسهم بها الأسطورة في الشعر.

رابعاً: الوظيفة الرمزية (الأسطورة كآلية لتفسير الواقع وتأطيره)

تُعيد الأسطورة إنتاج الواقع بطريقة رمزية تجعل من السلوك الإنساني نتيجة لمنظومة خارقة أو قوانين كونية غير مرئية. في قول زهير:
"ومن لم يَرع أمانةً أُسندت إليهُ
يضَعِفْ في الناسِ ولا يحترمِ"
يتجلى في هذا البيت تصوير الإنسان الذي لا يحافظ على الأمانة كشخص خارج عن النظام الاجتماعي، مما يُنذر بضعفه وهبوط مكانته بين الناس. هذه الصورة تعكس فكرة رمزية متجذرة في الموروث الثقافي القديم، حيث يُنظر إلى الأمانة كقاعدة كونية أو أخلاقية أساسية، وخروج الفرد عنها يُعد خرقًا لنظام عالمي مُتصور.

ويُعلّق ابن الأثير في هذا السياق قائلاً: "إن الشاعر إذا رمز إلى الأشياء، جعلها أقرب إلى الذهن، وأبلغ في التأثير، لأن الرمز يُحيل الواقع إلى معنى أعمق يُحيي في النفس إحساسًا بالعظمة والغموض".

أما عن تكرار الشواهد في شعر زهير، فذلك يعود إلى توظيف التكرار كآلية بلاغية لتعزيز الرسالة وإبرازها كحكمة ضرورية، فالرسائل التي تتكرر تعكس أهمية المضامين التي تحملها، خصوصًا في مجال القيم والأخلاق التي تشكل أساسًا لنظام اجتماعي مستقر.

خامساً: الوظيفة المعرفية والنفسية (الأسطورة وسيلة لفهم العالم وإعادة الاتزان النفسي)

في مواضع كثيرة، يلجأ زهير إلى صور أسطورية عند توصيف القوى التي تعجز الذات عن السيطرة عليها، مثل الحظ، الدهر، المنايا. هذه الكيانات تظهر في شعره ككائنات واعية تتصرف بإرادة خاصة، تُهاجم وتُجامل وتُعطي وتمنع. في هذا التحويل للغيب إلى شخصية رمزية، يكمن جوهر الوظيفة المعرفية للأسطورة. حين يقول:

رأيتُ الدهرَ ينزلُ بالرزيةِ
ولا يُبقي الكريمَ ولا اللئيمَا[٧]

فهو لا يعبّر عن مجرد شكاية وجودية، بل يُعيد تركيب صورة الدهر ضمن إطار أسطوري يجعل من الزمن كائنًا مدمّرًا، أعمى، ينتقم دون تمييز. وهذا يُعيد إنتاج فكرة الزمن الأسطوري في تقاليد الشعوب القديمة، ويُحوّل مشاعر العجز إلى طقس تفسيري يُعيد للنفس توازنها.

ويُشبه هذا التصور ما ذهب إليه يونغ في نظريته عن "النماذج الأصلية تكون الأسطورة وسيلة لإسقاط المجهول على صورة مألوفة، لتسهيل تقبله. وهكذا، تصبح المنايا والدهر صورًا رمزية تنقل المجهول إلى المعلوم، وتُتيح للذات أن تتصالح مع هشاشتها.

يتضح من تتبع الوظائف الجمالية والدلالية للأسطورة في شعر زهير أنها ليست مجرد مظهر بلاغي، بل بُنية متجذرة في تشكيل المعنى. فقد استطاع زهير أن يُعيد استخدام العناصر الأسطورية لتكوين عالم شعري

[٧] زهير، "الديوان"، ص ٢٣.

تتجاور فيه الحكمة بالدهشة، والواقع بالخيال، والانفعال بالفكر. ومن خلال توظيفه الدقيق للأسطورة، اكتسبت قصائده طابعًا تأويليًا عميقًا، وجمالية قادرة على تجاوز الأزمنة.[٨]

فالأسطورة، بما تحمله من طاقات رمزية وتاريخية ونفسية، أتاحت لزهير بناء شعر يعكس ملامح الكائن العربي قبل الإسلام، ويُحول المعاناة إلى نظام تأمليّ، يُخاطب الفرد والجماعة على حد سواء. وإذا كانت الحكمة هي العنوان الأشهر لشعر زهير، فإن الأسطورة هي الباب الخلفي الذي يتسلل منه الخيال، ليحوّل هذه الحكمة إلى رؤيا

الخاتمة:

بعد دراسة معمّقة لأبعاد التشكيل والتخييل في شعر زهير بن أبي سلمى، تبيّن أن هذا الشاعر، الذي ارتبط اسمه طويلاً بالحكمة واللغة الواضحة الصافية، قد قدّم صورة شعرية تتسم بالتركيز والرمزية أحيانًا، دون أن يبلغ حد التأسيس لأسطورة متكاملة بالمعنى الاصطلاحي. إن شعره يعكس رؤيته الوجودية والأخلاقية من خلال صور جزئية مجازية، أكثر من كونه يبني عالماً أسطورياً مستقلاً له طقوسه ومخلوقاته الخارقة.

أظهر المبحث الأول أن مفهوم البعد الأسطوري في الشعر الجاهلي يرتبط غالبًا بتشخيص المجردات وتحويلها إلى ذوات فاعلة، وهو ما نلمسه لدى زهير حين يصف الدهر أو المنايا أو الطبيعة بصفات حسية، إلا أن هذه التشخيصات تظل مرتبطة بتفسير الواقع وليست بناء أسطورة تخييلية كاملة، بل أداة لإيصال معنى أخلاقي أو وجودي.

أما المبحث الثاني، فقد تناول ملامح التخييل الرمزي في ديوان زهير، مبرزًا كيف انتقلت بعض صوره من الواقع إلى مساحة شبه تخييلية، لكنها بقيت محكومة بقوانين الطبيعة والواقع الجاهلي دون انفصال عنها. لقد استدعى زهير عناصر الطبيعة، والموت، والمعركة، والمصير، في سياق تصويري يعزز دلالات قصيدته ومغازيها الحكمية.

ثم كشف المبحث الثالث عن آليات المبالغة في شعر زهير، موضحًا أنها أداة فنية لبناء صورة أكثر قوة وإيحاءً وتأثيرًا في المتلقي، دون أن تتحول هذه المبالغة إلى بناء أسطوري خارق، بل ظلت في إطار بلاغي تفرضه طبيعة الشعر الجاهلي في رغبته بالتضخيم والتوكيد والتقرير.

وهكذا يتضح أن شعر زهير بن أبي سلمى لم يُقم نظامًا أسطوريًا ميثولوجيًا قائمًا بذاته، بل استخدم التخييل الرمزي والتشخيص أداةً لإيصال حكمته وتجربته الحياتية بصورة موحية تُضفي على شعره طابعًا من العمق، دون أن تخرجه عن طبيعته الواقعية العقلانية التي ميّزته عن سائر شعراء عصره.

ومن خلال تتبّع النماذج الشعرية وتحليلها في ضوء المفاهيم النقدية القديمة والحديثة، أمكن التوصّل إلى جملة من النتائج المهمة:

[٨] ناصر الدين الأسد، "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٥١.

- أن زهيرًا، وإن اشتهر بالحكمة والرصانة، يوظف الأسطورة بصورة ضمنية وعميقة لبناء منظومته الشعرية، لا سيما في موضوعات الموت، والدهر، والمصير، حيث تتكثف الرموز وتتسع الدلالة.
- أن التشكيل الأسطوري في شعر زهير لا يقتصر على استخدام الرموز أو الكائنات الخرافية، بل يشمل خلق مناخ تخييلي يتماهى مع بنية الأسطورة، ويمتد إلى المشاهد الكونية، وحركة الزمن، وقوانين الوجود.
- أن المبالغة عند زهير لا تُستخدم بغرض الزينة، بل تُعد أداة تركيب رمزي تُكثّف بها المفارقات الأخلاقية والوجودية، وتُعمّق من دلالات النص في سياق أسطوري رمزي.
- أن الوظيفة الجمالية للأسطورة تتكامل مع الوظيفة الدلالية في شعر زهير، مما يمنح نصوصه أفقًا تأويليًّا مفتوحًا، غنيًا بالدهشة والإيحاء، ويجعل منها نماذج شعرية قابلة لإعادة القراءة في ضوء المناهج الحديثة.

بناءً على ما تقدم، يمكن القول إن قراءة شعر زهير من منظور أسطوري تفتح أفقًا نقديًّا جديدًا، يُعيد تأويل نصوصه بعيدًا عن الأحكام الجاهزة التي تقصره على الحكمة وحدها، ويُظهر كيف تلتقي في شعره عناصر التخييل والعقل، والواقع والرمز، والتجربة الفردية والمخيال الجمعي. إن الأسطورة ليست هامشًا في شعر زهير، بل أحد محاوره التكوينية الخفية.

ويُقترح أن تُستكمل هذه الدراسة بمقاربات موازية تشمل شعراء آخرين من الجاهلية، مثل طرفة بن العبد، ولبيد بن ربيعة، أو بمقارنة شعر زهير بأساطير الشرق الأدنى القديم، مثل ملحمة جلجامش أو نصوص الحكمة المصرية، لما فيها من تقاطعات بنيوية ودلالية. كما يمكن أن تُفتح آفاق بحث جديدة تتناول أثر التكوين الأسطوري في موضوعات أخرى في شعر زهير، كالغزل، والزهد، والافتخار، مما يكشف عن مدى تغلغل الوعي الأسطوري في البنية العميقة للقصيدة الجاهلية، ويتيح لنا تأملًا أوسع في العلاقة بين الأسطورة والهوية الثقافية العربية في فجرها الشعري الأول.

قائمة الهوامش :

- ابن الأثير، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٦٧
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ج١، ص ٤٥
- ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨، ص ٩١
- إحسان عباس، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ص ٦٧
- الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠، ج١، ص ١٣٢
- جان بيير فرنان، "الأسطورة والمجتمع في اليونان القديمة"، ترجمة محمد سبيلا، أفريقيا الشرق، ١٩٩٧، ص ٤٣.
- حسان عباس، "تاريخ النقد الأدبي عند العرب"، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ص ٦٧.
- د. مصطفى ناصف، *قراءة جديدة لشعرنا القديم*، دار الشروق، ١٩٩٨، ص ١٤٧
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، ص ١٢.
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، ص ١٢
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، ص ١٢
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، ص ١٨
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، ص ٢٠.
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، ص ٢٠.
- زهير بن أبي سلمى، "ديوان زهير بن أبي سلمى"، تحقيق طه حسين وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٠.
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ١٣.
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ١٣
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٢٤.
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٢٥.

- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٢٧
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٢٧
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٣٢.
- زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص ٣٢
- زهير، "الديوان"، ص ١٣
- زهير، "الديوان"، ص ٢٣
- زهير، "الديوان"، ص ٢٣.
- زهير، "الديوان"، ص ٣٢.
- طه حسين، "حديث الأربعاء"، ج١، دار المعارف، القاهرة، ص ١١٥
- طه حسين، "حديث الأربعاء"، دار المعارف، ج١، ص ١١٢
- عبد القاهر الجرجاني، "أسرار البلاغة"، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، ١٩٩١
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود شاكر، دار المدني، جدة، ١٩٩٢، ص ٢٤٥
- فراس السواح، "مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة"، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٠، ص ٦٥
- فراس السواح، "مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة"، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٠، ص ٧٨
- فراس السواح، "مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة"، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٠، ص ٧٨
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١، ص ٧٨
- ناصر الدين الأسد، "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٤٥
- ناصر الدين الأسد، "مصادر الشعر الجاهلي"، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٥١.

قائمة المراجع :

١. الأسد، ناصر الدين .*مصادر الشعر الجاهلي* .القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨.

٢. الجاحظ، عمرو بن بحر .*البيان والتبيين* .تحقيق عبد السلام هارون. الطبعة الثالثة. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠.

٣. الجرجاني، عبد القاهر .*أسرار البلاغة* .تحقيق محمود شاكر. الطبعة الثانية. جدة: دار المدني، ١٩٩١.

٤. الجرجاني، عبد القاهر .*دلائل الإعجاز* .تحقيق محمود شاكر. جدة: دار المدني، ١٩٩٢.

٥. السواح، فراس .*مغامرة العقل الأولى: دراسة في الأسطورة* .دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٠.

٦. حسين، طه .*حديث الأربعاء* .الجزء الأول. القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٧. عباس، إحسان .*تاريخ النقد الأدبي عند العرب* .بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١.

٨. ابن الأثير .*الوساطة بين المتنبي وخصومه* .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٥.

٩. ابن رشيق القيرواني .*العمدة في محاسن الشعر وآدابه* .تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الرابعة. بيروت: دار الجيل، ١٩٨١.

١٠. ابن وهب .*البرهان في وجوه البيان* .تحقيق أحمد مطر. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٨.

١١. فرنان، جان بيير .*الأسطورة والمجتمع في اليونان القديمة* .ترجمة محمد سبيلا. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ١٩٩٧.

١٢. قدامة بن جعفر .*نقد الشعر* .تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨١.

١٣. زهير بن أبي سلمى .*ديوان زهير بن أبي سلمى* .تحقيق طه حسين وعبد السلام هارون. القاهرة: دار المعارف، د.ت.